برامج تعليم الدراسات القرآنية
في مشاريع الماستر بجامعة وهران
دراسة وصفية تحليلية

د. بن نعمية عبد الغفار

السيرة الذاتية

الاسم: عبد الغفار بن بلقاسم بن نعمية.

مكان الميلاد وتاريخه: ١٠ سبتمبر ١٩٨٠ بلدية بلدة عمر، دائرة تماسين، ولاية ورقلة.

المؤهل العلمي: دكتوراه.

مكان الحصول عليه وتاريخه: كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية، جامعة وهران، بتاريخ ٢٧ فيفري ٢٠١٢م.

الدرجة العلمية: أستاذ محاضر قسم ـ أ ـ .

التخصص العلمي العام: الدراسات القرآنية.

التخصص العلمي الدقيق: اللغة والدراسات القرآنية.

العمل الحالي: أستاذ جامعي بكلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، الجزائر.

الإنتاج العلمي:

*** الكتب**:

١ ـ «موسوعة المخطوطات الجزائرية في علوم القرآن والسنة النبوية» في إطار عمل جماعي.

٢ ـ «موسوعة مخطوطات الغرب الجزائري في علوم القرآن والسنة النبوية» في إطار عمل جماعي.

٣ ـ «تحقيق أرجوزة الحلفاوي في الحضانة» في إطار عمل جماعي.

*** البحوث**:

١ ـ مقال منشور بمجلة الحضارة الإسلامية الصادرة عن كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية ٢٠١١، بعنوان: «رعاية اللفظ في القرآن الكريم».

٢ ـ مقال منشور بمجلة الحضارة الإسلامية، الصادرة عن كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية ٢٠١٢، عنوان المقال: «الشواهد الشعرية في مصنفات التفسير».

٣ ـ مقال منشور بمجلة العلوم الإسلامية الصادرة عن جامعة هولندا للعلوم الإسلامية، عنوان المقال ٢٠١٤: «معركة العقل الحديث بين الشعر الجاهلي وإعجاز القرآن الكريم».

* **المشاركة في المؤتمرات والندوات:**

١ ـ الملتقى الدولي حول ترجمة النصوص الدينية، من تنظيم مخبر اللغات بجامعة وهران، عنوان المداخلة: «**القرآن الكريم بين ضروريات التفسير ومحاولات الترجمة**» أكتوبر ٢٠١٠م.

٢ ـ الملتقى الدولي حول ظاهرة التكفير: الأسباب، الآثار، العلاج، المنظم بالمدينة المنورة بالتعاون بين جامعة الإمام محمد بن سعود وجائزة الأمير نايف بن عبد العزيز، عنوان المداخلة، «**الإصلاح الفكري وظاهرة التكفير في المؤسسات التربوية والتعليمية**» سبتمبر ٢٠١١م.

٣ ـ الدورة العلمية الدولية حول «التكوين الشرعي لمسلمي أوربا» بجامعة بروكسل، عنوان المداخلة: «**الإعجاز القرآني**» ديسمبر ٢٠١٢م.

العنوان: كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية، جامعة وهران، الجزائر.

* **البريد:** ص ب ١٥٤١، المنور ٣١٠٠٠، وهران.

* **الهاتف:** ٠٠٢١٣/٥٥٨/٩٦/٤٥/١٥

* **الإيميل:** bnnamia@yahoo.fr

ملخص البحث

تعدُّ جامعة وهران إحدى الجامعات التي عملت بشكل واضح ومميز على دفع الدراسات القرآنية بعمق إلى مرحلة متقدمة ومختلفة عن المعهود، حيث سطَّرت آفاقًا عمليةً مفادها صناعة الباحث المتخصص معرفيًّا، وتأهيله من جانين اثنين: التكوين الذاتي الذي يولِّد قناعة الانتماء إلى التخصص، والتكوين الموضوعي الذي يدفع إلى تعميق تجربة الانتماء بالاشتراك في عمليات التطوير وتجسيد الآفاق.

وفي إطار تتميم مرحلة التدرج وتعميق مرحلة الدراسات العليا اعتمدت جامعة وهران مشروعًا متخصصًا في الدراسات القرآنية في مرحلة الماستر، والتي تدومُ حسب القانون المعمول به ثلاث سداسيات، تُتوّجُ بمذكرة في نهاية المسار خلال السداسي الرابع، جاءت مقرراته ومواده الدراسية واعية بأهمية البحث في حقل الدراسات القرآنية، كفيلة بتكوين خلفية شرعية وعلمية للطالب المنتسب إلى مسارها، فالتطوير المنشود في هذه المرحلة يشترط أن يلتزم الطالب علميًّا باستصحاب الثوابت والرواسخ والأصول المتفق عليها من خلال القرآن الكريم وما دلَّت عليه السنة النبوية الشريفة، والتي تلقاها الطالب في مرحلة الليسانس في الدراسات القرآنية. ويهدفُ المشروع في مُجمله ومن خلال مقرراته إلى:

ـ توفير بيئة تعليمية خصبة ومناسبة للدراسات القرآنية. ورعاية جسور متخصصة تابعة للدراسات القرآنية: (كتخصص القرآن والدراسات الأدبية، التفسير وعلوم القرآن، الدعوة والثقافة الإسلامية، التفسير والحديث....) ـ والسعي إلى التنسيق مع مختلف الجامعات الجزائرية المهتمة بالدراسات القرآنية، من خلال تبادل المشاريع وتثمينها ـ،

وتجميع القدرات الوطنية والمحلية، من خلال تحديد مؤشرات مُتابِعَة للمشروع من طلبة وهيئة تدريس مختصة ومتكافئة.

وينبغي في هذا الإطار الإشارة أنّ المشروع عمل وبقوة على توفير بطاقة تعريفية مُعمَّقة شملت قدرات وإمكانيات مادية ومعنوية وبشرية وبيداغوجية من منسقين، ومشاركين، ومؤطرين، وأهداف، ومؤهلات، وقدرات استيعاب، ومؤشرات، وفضاءات للعمل مكتبية وتكنولوجية وإعلامية، ومشاريع بحث داعمة، ومخابر توطين..... وغيرها. يمكن بيانها من خلال المنهج الوصفي والتحليلي، ودراسته كوجه من أوجه تطوير الدراسات القرآنية في مرحلة الماستر، واستخلاص الواقع الذي تعيشه الدراسات القرآنية من خلال هذه التجربة، وما تطمحُ إليه الجامعة بعد استكمال مسار التكوين وتحقيق الأهداف المرجوة.

أولًا

مقدمة

عرفت الدراسات القرآنية في الجامعات ومراكز البحث الإسلامية اهتمامًا بالغًا ومتنوّعًا بين بحوثٍ ودراساتٍ ومؤلفاتٍ ومؤتمراتٍ وندواتٍ، تسعى جميعها لتقديم نموذج شامل لمعاني الدراسات القرآنية، ومُحقّقًا لأهدافها، ومثلما تدعّمُ المساحة المتفق عليها بينها إلى حد بعيد الأصول والأساسيات التي تخدم الباحث القرآني، يبدو الاختلاف بينها واسعًا في طريقة الصناعة والتكوين نظرًا لاختلاف وجهات النظر، وتباين الآراء في تقديم المادة القرآنية.

يبدو البحث في حقل الدراسات القرآنية واسعًا يتحمّل العديد من الآراء، ويقبل الكثير من الاقتراحات؛ لذا عملت العديد من المؤسسات التعليمية المختصّة على وضع تصور علمي متوازن يضع القضية القرآنية رهن الاهتمام، ويُقدّم مجال الدراسات القرآنية كمساحة خاضعة للتطوير من خلال تقييم البرامج والمقررات، وقابلة لزيادة كل ما يدعّم خدمة الباحث المفسر والقرآني والموضوعي.

إنّ هذا المؤتمر ببحثه في واقع الدراسات القرآنية وآفاقها يكون قد استهدف فرص التطوير وحلوله، وفتح المجال واسعًا متخطيًا بذلك

البرامج إلى المشاريع، والنظري إلى التطبيقي، والمقررات إلى التجارب الرائدة والناجحة، يسعى الباحثون من خلاله إلى تكوين إطار معرفي عميق في الصناعة القرآنية، وتبعًا لهذا الأساس تأتي هذه المداخلة لتُسهم في بحث التصورات التطبيقية من خلال برامج ومشاريع الماستر في تخصص الدراسات القرآنية بالجزائر، وكانت جامعة وهران إحدى هذه الجامعات التي عملت بشكل واضح ومميز على دفع الدراسات القرآنية بعمق إلى مرحلة متقدمة من البحث والاهتمام، حيث سطَّرت آفاقًا عمليةً مفادها صناعة الباحث المتخصص معرفيًّا، وتأهيله من جانبين اثنين: التكوين الذاتي الذي يولِّد قناعة الانتماء إلى التخصص، والتكوين الموضوعي الذي يدفع إلى تعميق تجربة الانتماء بالاشتراك في عمليات التطوير وتجسيد الآفاق. وسيكون الاعتماد بشكل مباشر في تحقيق هذه الأهداف على نموذج مشروع في مرحلة الماستر، ودراسة برامجه وصفًا وتحليلًا، وبيان البيئة العلمية التي ساهمت في تحديد وبناء مقرراته، مع العلم أنّ هذا المشروع سيكون خلاصة سنتين في تخصص اللغة والدراسات القرآنية، شمل دراستها مواد لا تقل أهمية عما هو مُقرَّرٌ فيه.

وعليه، تنطلق هذه المداخلة مُعتمدة على الوصف والتحليل من تحديد أهداف التكوين في المشروع، والتي تنبني أساسًا على توضيح رؤيته تجاه تطوير البحث في الدراسات القرآنية، وتحديد الإمكانات والمؤهلات المتوفرة في التطبيق، إذ يستجيب المشروع لدعوات وزارية مُضنية لجودة التعليم العالي بيداغوجيًّا وعلميًّا وتعليميًّا، وراعى بحرص متقدّم وَضعَ مواد متخصصة تهتمُّ بالقضية القرآنية وبصناعة الباحث

القرآني، حيث وُزّعت مواده ومقرراته على وحدات تعليمية أساسية، ومنهجية، واستكشافية، وأخرى أفقية، كما عمل على تطبيق نظام الإرشاد Tutorat والمرافقة العلمية حيث يتولى كل أستاذ مجموعة من الطلبة بالمتابعة المكتبية والبحثية، وهي فُرصة مناسبة للمساعدات الفردية تستهدفُ شؤون الطلبة البحثية والشخصية والعلمية والتوجيهية، ولأنّ الماستر خدمة علمية تأتي بعد ثلاث سنوات من الدراسة، سنتين منها تابعة لمرحلة ليسانس في التخصص. فإنّ نظام المرافقة والرعاية العلمية ستكون ابتداءً من السنة الأولى في الليسانس بنفس المجموعة الطلابية والأستاذ المسؤول وصولًا إلى مرحلة الماستر.

ثانيًا

حاجة الدراسات القرآنية إلى التطوير

تبدو الحاجة إلى هذا النمط من التطوير ضرورية من جهة مسايرة واقع التعليم العالي في مختلف البلدان العربية والإسلامية ودعوات الإصلاح في المنظومات التعليمية التي تحّملت مختلف الظروف والنقائص لفترة زمنية معتبرة، وقضايا الجودة في التعليم، ومدى استجابة برامجها ومسايرتها للمعايير الدولية في التعليم، ولأنّ الدراسات القرآنية فرع من فروع العلوم الإنسانية، فكما تقبل التجديد في بعض المفاهيم دون المساس بالأصول، تقبل أيضًا التطوير في المناهج والأساليب دون المساس بحقيقة المعرفة التي يقدّمها القرآن، وإذا علمنا أنّ صناعة المُفسّر تستجديه أن يكون ملّمًّا بأصول التفسير وحريصًا على قواعده. فإنّ التفسير الحديث لا يكاد يُقارن بأعمال المتقدمين من جهة الإلمام والتدقيق، إلا بعض: «الأعمال التي لا تعدو أن تكون جمعًا لأقوال المتقدمين، أو شرحًا لغامضها، أو نقدًا وتفنيدًا لما يعتوره الضعف منها، أو ترجيحًا لرأى على رأى، مما جعل التفسير يقف وقفة طويلة مليئة بالركود، خالية من التجديد والابتكار»[(١)].

(١) التفسير والمفسرون محمد حسين الذهبي، مكتبة وهبة، القاهرة، ص ٢، ص ٣٦٣.

سنندفع بشكل واضح للحديث عن نهج آخر من التطوير وهو «تطوير القرآن الكريم للمجتمع»[١]، من خلال الاهتمام بتعميق مناهج البحث والتعليم في الدراسات القرآنية، وبموجبه سيكون اهتمامنا بالغًا للقضايا القرآنية وعلوم التفسير، إذ لا يمكن بأي حال حصر مواضيع الدراسات القرآنية في جانب معين، فظاهرها كل ما تعلّق بالقرآن الكريم لكنها في الأساس تتعدى إلى كل ما يتعلق بمناهج التربية الذي أقره القرآن الكريم وهو دستور الحياة والمجتمع، وعليه فإنّ قضايا التطوير باتت ضرورة ملحة تستهدف بالدرجة الأولى وضع معايير مناسبة لترويج المعرفة القرآنية عالميًّا، واعتمادها أساسًا في تأصيل الفكرة الإسلامية، وتصدير مناهج التدريس وبرامج المتابعة إلى الجامعات الغربية المُهتمة بالدراسات القرآنية والإسلامية، ولا يخفى ما روّجته ولا تزال بعض الدراسات والأبحاث من تطبيقات عقلية موغلة على الدراسات القرآنية لتصل إلى نتائج لا أصل لها أو خطيرة في بعض الأحيان[٢]، فيكون لزامًا أن يجد القائمون على الأبحاث القرآنية في الجامعات الإسلامية بيئة معرفية خصبة للرد والتصدي.

لا زلنا نقرأ في مختلف المصنفات أن الدراسات القرآنية أثرت بشكل أو بآخر في مختلف العلوم والفنون، وعليه فإنّ تطويرها يقتضي

---

(١) اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، فهد بن عبد الرحمان الرومي، رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، السعودية، ط١، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٦، ج٣، ص ٨٦٦.

(٢) بعض الدراسات توصل إلى نتائج تمس بأصول العقائد، أو بالقرآن الكريم والثابت من السنة النبوية تحت مُسمى العقليات.

نمو هذه العلوم، وكلما تطوّر العلم أصبحت الحاجة إلى تطوير الوسائل الفكرية أكثر إلحاحًا، وإبراز المنهج القرآني كخطة موضوعية متطورة ومتسايرة ومتوازنة، سيضمن إلى حد مقبول الحصول على شخص الباحث القرآني المنشود، والمفسّر الموضوعي[١]، وحين نقرأ أنّ واحدًا من أهداف هذا المؤتمر هو الإسهام في صناعة المفسر وفق منهجية علمية أصيلة سنكتشف سريعًا تلك القيمة العلمية بين تطوير الدراسات القرآنية وبين تكوين المفسرين، حتى إنّ الحركة الاستشراقية حين تعاملت مع تفسير القرآن الكريم وأسّست مناهجها في ذلك وحاولت تطبيق العلوم والمناهج الغربية، كانت تشير إلى «أن تطور الدراسات القرآنية بالغرب في أواسط القرن العشرين قد حدث تحت تأثير التقدم الملحوظ في تفسير الكتاب المقدس»[٢]. ولن تكون هذه دعوة لتكوين من يجتهد بغير حجة أو دليل، إذ لا يُقدّم القرآن الكريم حرية النظر والتفكير باعتبار عالمية خطابه للأفراد والجماعات على حد سواء، بقدر ما هو إلفات نظرٍ لتعميق النظر في مناهج والأساليب، والإبقاء على أصل الإلمام أولى.

إنّ المهنية المطلوبة في تقديم المادة القرآنية تعتمد أساسًا على امتلاك خلفية معرفية حول نشأة الدراسات القرآنية وتطورها، فالمصطلح

---

(١) مصطلح الموضوعي هنا لا يقصد به اللفظ المتداول في التفسير الموضوعي، بل المفسر المتوازن والمعتدل والمتعمق.

(٢) تفسير القرآن الكريم في كتابات المستشرقين، عبد الرزاق بن إسماعيل هرماس، مجلة البحوث الإسلامية، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، ج٦٧، ص ١٤٠.

يبدو حديثًا باعتبار إغفال لفظه لدى القدامى، لكن مدلوله انطلق منذ فترة مبكرة من خلال الاهتمام بقضايا القرآن الكريم، فالمصنفات تحفظ بدقة أنّ حركة التأليف لم تغفل مطلقًا الحديث عن علوم القرآن بمباحثه المتعددة وهي بمجموعها تشكل مدلول الدراسات القرآنية عند القدامى، ولعل المصنفات ذاتها لم تحفظ أيضًا أنها أتت على كل المباحث السباقة والتي لا تزال بالدراسة والتنقيب، ويبدو أنها فرصة علمية مناسبة لإمكانية إعادة تأهيل هذه المباحث على وفق مناهج علمية جديدة. سيكون هذا المؤتمر في نسخته الثانية أرضية خصبة لتناقل الأفكار والمناهج والتجارب، وسيُفيدُ المشروع في تنمية وتقويم مناهجه المُعتمدة.

ثالثًا

البطاقة التعريفية

لمشروع ماستر الدراسات القرآنية

من اللائق التنبيه أنّ المشروع عمل وبقوة على توفير بطاقة تعريفية تصورية شملت كفاءات ومعارف مُكتسبة، ومؤشرات متَابَعة، وفضاءات للعمل مكتبية وتكنولوجية وإعلامية، ومشاريع بحث داعمة، يكون بيانها على النحو التالي:

١ ـ كفاءات المشروع المُستهدفة ومعارفه المكتسبة:

أثبتت تجربة فتح المرحلة الأولى من الليسانس في مجال اللغة والدراسات القرآنية إقدامًا بالغًا للتسجيل في التخصص، مما دفع إلى ضرورة مواصلة المرحلة الثانية المتعلقة بالماستر في الدراسات القرآنية، ويكون جسرًا في توسيع النظرة البحثية للقضايا القرآنية خاصة مع وجود كم هائل من الأبحاث والدراسات تنتظر الشرح والتوجيه، ثم إنَّ فتح ماستر في الدراسات القرآنية هو خطوة عميقة في قلب تخصص اللغة والدراسات القرآنية، وهو على صلة وثيقة أيضًا بمختلف مجالات الدعوة والإرشاد الديني، والمؤسسات التعليمية في مجال التربية

والتعليم ومراكز البحث الإسلامية، خاصة وأن طبيعة التكوين تهدف إلى إعداد مؤهلين من جانبين اثنين: من الجانب الشرعي، ومن الجانب العلمي، مع ضرورة استحضار الكفاءة اللازمة لمواصلة المسار، وتطبيقه على أرض الواقع كل في موقعه.

إن الأبحاث التي اعتنت بمجال الدراسات القرآنية على كثرتها إلا أنها تحتاج إلى مزيد من الاهتمام المحلي على مستوى الجامعة الجزائرية، وتحصيلها والإلمام بها يساعد في الدفاع عن حمى الإسلام مما يتعرض له اليوم أكثر من ذي قبل، فالمكتبات العربية والإسلامية زاخرة بنمط من الدراسات تختزن في صفحاتها آراء جريئة بدليل غير دقيق، أو بدون دليل أصلًا، مع وجود أساتذة متخصصين في ذات المجال، ومع ذلك فإعداد طلبةٍ مؤهلين هي خطوة محمودة في هذا المجال، ساعدت هذه الخطوة طبيعة التكوين من مرحلة الجذع المشترك في السنة الأولى ثم إلى التخصص ثم إلى الماستر من خلال المقررات الدراسية في وضع آليات علمية ومنهجية تعتني بشكل أو بآخر بإعداد الباحث القرآني والمفسر المتخصص، وتفتح مجالات واسعة لفهم المحيط الضيق والواسع للكتابات العربية والإسلامية أو الكتابات الغربية والحداثية تجاه الإسلام والقرآن، وعليه فإنّ ماستر الدراسات القرآنية ضرورة ملحّة فرضها الواقع العلمي الداخلي لاهتمام الطلبة، والواقع الخارجي من خلال الكتابات والمصنفات وتحولات الفكر العالمية.

إن تحصيل هذا التخصص في مرحلة الماستر سيدفع إلى تعميق النظر في الأبحاث القرآنية، فعلوم القرآن على كثرتها تفتح مجالًا واسعًا

من خلال طبيعة الماستر لدراسة تاريخ القرآن، وحاضره ومستقبله، بل يمكن تحديد مسارها هذا من خلال العديد من الكتابات، خاصة وأن الوحدات التعليمية المقترحة تميل إلى العمق في الدراسة والتحليل، تتوج في نهاية المسار بمذكرة تخرج تكشف عن وجهة نظر جديدة من خلال متابعة المشروع من المرحلة الأولى للتخصص، بل يطمح القائمون على تسييره من خلال مقرراته التي تُركز بشكل واضح على المادة القرآنية الخالصة إلى استكمال المشروع في مرحلة الدكتوراه بنظرة جديدة تُحافظ على الهدف والنتيجة.

وانطلاقًا من أن القرآن الكريم شامة الأمم وسُلَّم رقيِّها، وهو الشاهد الأساس في تصنيفها، واعتبارها ضمن مقاييس القوة والضعف في الأَجَندَة العالمية، وهو المنقذ لها من مختلف ممارسات الإقصاء التي تتعرض لها الأمم في مختلف عصور الحضارات وأزمنة التعاقب، بل هو الكفيل بإعداد أمة لها ماض مجيد، وحاضر مستعد لدخول المعارك الحضارية والفكرية الحادثة، ويضمن مستقبلًا رائدًا لأي تحدٍّ تفرضه التكنولوجيات المحتملة، أو التطورات في مختلف المجالات ـ انطلاقًا من هذا ـ جاءت قناعة المشاركة الجماعية في تحضير بيئة علمية بمشاركة الطلبة أصحاب التخصص، وهيئة التدريس، والهيئات الإدارية والبيداغوجية وفريق التكوين المسؤول العام عن التخصص.

٢ ـ مؤشرات متابعة المشروع:

اتخذ فريق التكوين للمشروع أرضية علمية متوازنة تُعين في السير العادي والطبيعي، وتتناسب مع المرحلة المتقدمة التي يشهدها في التحصيل وذلك من خلال عشر نقاط أساسية مُستهدفة هي:

١ ـ المراقبة والمتابعة المستمرة عن طريق إجراء فحوصات مفاجئة في قضية قرآنية معينة.

٢ ـ تكليف الطلبة بأبحاث في المادة واعتبارها جزءًا من المحاضرة واحتسابها في الرصيد المعرفي والبيداغوجي.

٣ ـ إجراء امتحانات وفحوص فصلية خارجة عن المعتاد تعتمد تقسيم الطلبة إلى مجموعات متقاربة في المعارف وإدراج أسئلة مختلفة بين المجموعات على حسب طبيعة المعارف، عملًا بقاعدة الجماعة المدرسية والتي تفيد: «بجمع الطلاب المشتركين في الميول والهوايات والنشاطات العلمية»[(١)] في الاختبارات والامتحانات الفصلية بما يُحقق لهم تطوير معارفهم وتعميق تكوينهم.

٤ ـ تطوير تغطية وحدات التعليم والمواد عن طريق استعمال أجهزة الإعلام والعرض الآلي خلال المحاضرة، وعرض مجريات المؤتمرات القرآنية خلال الحصة ومناقشة المداخلات حرصًا على تطوير التكوين والتكوين الذاتي.

٥ ـ تطوير التخصص على حسب المتطلبات العملية والعلمية من خلال عقد لقاءات شهرية بين الطلبة وهيئة التدريس لدراسة الوضعية التدريسية القائمة خلال كل شهر.

٦ ـ عقد الندوات والملتقيات والأيام العلمية والتربوية المتخصصة.

---

(١) الخدمة الاجتماعية المدرسية، غباري محمد سلامة محمد، المكتب الجامعي الحديث، مصر، ١٩٨٩، ص ١٧٢.

٧ ـ تكليف الطلبة بإنجاز تقارير عن المؤتمرات القرآنية، واحتسابها في الرصيد.

٨ ـ يعمل كل طالب على جمع بحوثه القرآنية وتوضيبها وتبويبها، يشرف على تصحيحها وتوجيهها أستاذ متخصص.

٩ ـ السعي لتزويد الطلبة ثم مكتبة الجامعة بمختلف الموسوعات والأبحاث والدراسات الجديدة التي تناولت الدراسات القرآنية والإسلامية لتمكين الطلبة من التزود العلمي وإنجاز الأعمال.

١٠ ـ إشراك الطلبة في إنجاز مشاريع بحثية متخصصة مُساعِدة للمشروع، فقد حدّد فريق التكوين مشروعًا موسومًا بـ: «موسوعة المخطوطات الجزائرية في علوم القرآن والسنة النبوية»[(١)]، كبيئة بحثية يمكن من خلاله استثمار الجهود الجزائرية في خدمة القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، ولأجل استجماع مختلف مناهج علماء الجزائر في خدمة الدراسات القرآنية قدّم فريق التكوين مشروعًا آخر للوزارة موسومًا بـ: «مساهمة علماء الجزائر في الدراسات القرآنية»[(٢)]، وهو عمل موسوعي يُدعّم القدرات المعرفية ويلبي حاجة علمية مطلوبة في مجال الدراسات القرآنية في الجزائر.

---

(١) المشروع تمّ تسجيله لدى الوزارة المعنية تحت رمز ٣٢/ u٣١٠/ ٢٣١٤، وهو بإشراف الأستاذ الدكتور الجيلالي سلطاني.

(٢) المشروع قيد الدراسة من الجهات الوصية، وفي انتظار الرد وتحديد الرمز الوزاري، وهو بإشراف صاحب هذه المداخلة.

٣ ـ التوثيق والعمل المكتبي وعلاقتهما بالمشروع:

قبل الإقدام على فتح المشروع قام فريق التكوين بخطوتين أساسيتين خاصتين بالعمل المكتبي، أولهما الاطلاع على مختلف المصادر والمصنفات والأبحاث والدراسات والرسائل الجامعية المتوفرة والمراجع التي تتناول الأبحاث القرآنية، والمجلات العلمية والأكاديمية المعترف بها على الصعيدين الداخلي والخارجي، إذ تناولت موضوعات تراعي جوانب دقيقة في القضايا القرآنية، ولأن حجمها كان مقبولًا ومُساعدًا ومتنوعًا شرعيًّا وقرآنيًّا يخدم إلى حد كبير طبيعة التكوين ويعين بشكل أو بآخر في وضع ذهنية الطالب أمام واقع علمي يفرض تحصيلًا علميًّا لائقًا بقيمة القرآن وقضاياه، جاءت الخطوة الثانية تابعة للإجراء السنوي في طلب اقتناء الإصدارات والأبحاث الجديدة في الدراسات القرآنية واقتراح غير المتوفر من الكتب والمصنفات لإثراء المكتبة وتزويد الطلبة.

تحسن الإشارة أنّ الرسائل الجامعية المتخصصة في مجال الدراسات القرآنية المتوفرة كفيلة بتكوين خلفية قرآنية علمية كافية للطالب المنتسب إلى مسار ماستر الدراسات القرآنية، فقد تناولت مختلف هذه الرسائل مواضيع حديثة وجديدة في آن واحد، سواء على مستوى المناقشات المحلية في الكلية، أم خارج الكلية، وسواء على مستوى الجامعات الجزائرية أم الخارجية.

وعليه فما تزخر به مكتبة الكلية يساعد بشكل كبير ـ مع ضرورة التزود بالجديد في مجال الإصدارات ـ في مواصلة ومتابعة الماستر كمشروع متابعة لتخصص اللغة والدراسات القرآنية.

رابعًا

البيئة التعليمية والمعرفية

لمشروع ماستر الدراسات القرآنية

من المفيد الإشارة أنّ المشروع حدّد بيئة تعليمية ومعرفية مُعمَّقة شملت إمكانياتٍ مادية ومعنوية وبشرية وبيداغوجية من: هيئة تدريس، ومنسقين، ومشاركين، ومؤطرين، وأهداف تكوينية، ومؤهلات معارفية، وقدرات استيعاب، ومخابر توطين، يتخذ توضيحها الشكل التالي:

١ـ بيئة التعليم العلمية والإدارية:

من المُهم الإشارة أنّ الجامعات الجزائرية أصبحت تستقبل كمًّا هائلًا من المشاريع فيها غثّ وسمين، أرهقت بشكل واضح القدرات والموارد البشرية والمادية والبيداغوجية والإدارية للمؤسسات، وشكّل الإقدام على فتح المشروع في بعض الأحيان وتقديمه للجهتين الجهوية والوطنية بصفةٍ فردية من الأستاذ المسؤول دون البدء بالجهة المحلية الراعية الرسمية له خللًا تقنيًّا واضحًا، ومغامرة حقيقية خالية من الرعايتين العلمية لقلّتها أو اكتفائها، والإدارية لقلّة هياكلها، وتجنُّبًا

لذلك فقد كان إيجاد البيئة التعليمية المُتخصصة هاجسًا حقيقيًّا، بدأ بالتشاور مع أساتذة وطلبة التخصص، وانتهى بالموافقة عليه بعد مروره على ثلاث مراحل من الخبرة والمعاينة العلمية هي:

أولها: على مستوى المؤسسة الجامعية المحلية ممثلة من أربع هيئات:

١ ـ الهيئات التدريسية التي حدّدت بالاشتراك مع فريق التكوين في التخصص مواد المشروع ومقرراته الدراسية وحجمها الساعي وأبدت استعدادها للمتابعة والتدريس، وبيّن كل أستاذ نظرته للمادة التي سيُدرّسها.

٢ ـ الهيئات الإدارية: التي حرصت على توفير الهياكل الإدارية التابعة للمشروع (قاعة تدريس مستقلة، قاعة أنترنيت حصرية، جناح مكتبي).

٣ ـ الهيئات العلمية وهي ثلاث:

أ ـ اللجنة العلمية لقسم الحضارة الإسلامية[١] التي درست الإمكانيات المتوفرة في القسم لاستيعاب المشروع. مع إبداء بعض التعديلات، ووضعية المشروع المعرفية والتكوينية.

ب ـ المجلس العلمي للكلية: الذي ناقش التقرير المرفوع إليه من اللجنة العلمية حول المشروع، وصادق عليه بالإجماع مع الاحتفاظ بشرط توفر الإمكانيات المادية والبشرية.

---

(١) القسم الذي ينتمي إليه المشروع.

ج ـ المجلس العلمي للجامعة: الذي ناقش مدى إسهام المشروع في الإضافات المعرفية لجامعة وهران. وإنجاز تقارير تُرفع إلى الجهات الجهوية.

ثانيها: على مستوى المؤسسات الجامعية الجهوية: حيث تمّ عرض المشروع على خبراء وأساتذة التعليم العالي المختصين في الدراسات القرآنية والشرعية والإسلامية يمثّلون الجامعات الواقعة في الناحية الجغرافية لجامعة وهران، وأقرّ المشروع بإجراء التعديلات التي طلبوها في مسميات بعض المواد والحجم الساعي لبعضها الآخر.

ثالثها: على مستوى اللجان الجامعية الوطنية: وهي المرحلة التي يجتمع فيها المتخصصون من مختلف الجامعات الإسلامية، وتظهر فيها الشراكة الاجتماعية والاقتصادية بما يراعي الطلبة المنتمين للتخصص بعد انتهاء مسار التكوين، وجاءت موافقتها بعد النظر في جسور المشروع نحو تخصصات أخرى، ومعاينة قدراته الجهوية والوطنية القابلية للتشغيل[(١)].

٢ ـ بيئة التعليم التدريسية:

ويتلخّص ذلك في مؤهلات المشروع وقدراته العلمية والبيداغوجية حيث تزخر كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية بقسميها ـ الحضارة الإسلامية والعلوم الإسلامية ـ، بهيئة تدريس كفيلة برعاية تخصصات الدراسات القرآنية والشرعية والإسلامية، وقد اعتنى قسم

(١) جاءت الإشارة إلى هاتين المسألتين في النقطة الثانية للبيئة المعرفية الخاصة بالمشروع تحت عنوان: «مؤهلات المشروع وقدراته العلمية والبيداغوجية».

الحضارة الإسلامية بتخصص اللغة والدراسات القرآنية من خلال أعضاء هيئة التدريس المختلفة في رتبها، من أساتذة التعليم العالي، وأساتذة محاضرين، وأساتذة مساعدين ومشاركين. وعليه فإنّ مؤهلات متابعة المشروع متنوعة، تدرّج أغلبهم في التعامل مع المادة المعرفية، ولأنّ المشروع يجعل في أساسياته وصول المعرفة القرآنية على وجهها الصحيح والمتجدد إلى المؤسسات ومراكز الإرشاد الديني فإنّ بعضًا من هذه الكفاءات التعليمية حين يتطوّع للخطابة المسجدية أو الطلبة المتخرّجين من مسار هذا التكوين حين يوّظفون، فلن يستهدف ما يفوق قدرات العوام، وذلك جانب مهم في التكوين، وقد تجنّد لإنجاح المشروع وتقديم مناهجه كوجه جديد في الدراسات القرآنية: سبعة (٠٧) أساتذة من رتبة أستاذ التعليم العالي، وستة (٠٦) من رتبة أستاذ محاضر قسم «أ»، وأربعة (٠٤) من رتبة أستاذ محاضر قسم «ب»، وسبعة (٠٧) من رتبة أستاذ مساعد قسمي «أ» و«ب»، وجميع هذه الرتب العلمية متخصصة في مجال الدراسات القرآنية، وهي توافق وتؤكد على ما أشارت إليه بعض الأبحاث أنّ تعليم الدراسات القرآنية ينطلق أساسًا من الاهتمام بالقرآن الكريم وعلومه وأنّ هذه «الأفكار إذا تأصّلت عند القائمين على التعليم فلن تكون بدون تكاتف الجهود، وتوفر الإمكانات المالية والبشرية والمادية، وألا يقتصر تعليمه في الحلقات على حسب الجهود الفردية بلا تخطيط أو تطوير»[(١)].

(١) تقويم تعليم حفظ القرآن الكريم وتعليمه في حلقات جمعيات تحفيظ القرآن الكريم، إبراهيم بن سليمان آل هويمل، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة، ص ١٧.

أما القدرات المستهدفة فناتجة من خلال الإقبال الملحوظ للطلبة على تخصص اللغة والدراسات القرآنية[١]، من خلال تجربة السنتين الماضيتين، إذ التحق بالتخصص أكثر من ستين (٦٠) طالبًا في التجربة الأولى من مجموع (٣٥٠ طالبًا) في السنة الأولى، و(٧٠) طالبًا من مجموع (٤٠٠ طالب) موزعون على سبعة تخصصات، وهو عدد مشجع ومؤشر واضح على ضرورة المتابعة، لقد أثبتت تجربة فتح تخصص اللغة والدراسات القرآنية في مرحلة ليسانس وجود انسجام ملحوظ بين هيئة تدريس التخصص وعدد الطلبة، وإصرار متميز في الانتماء لهذا التخصص، مما دفع بشكل كبير إلى فتح ماستر في الدراسات القرآنية لأجل رعاية المعارف المكتسبة وتطويرها، وتحسن الإشارة إلى مسألتين اثنتين خاصتين بقسم الحضارة الإسلامية هما:

- أنّ الملتقيات والندوات والمؤتمرات والأيام الدراسية تُعقدُ إمّا بإشراف القسم ذاته، أو بإشراف «مخبر مخطوطات الحضارة الإسلامية في شمال إفريقيا»، وهو المخبر الذي تمّ توطين المشروع فيه، وسيُتابع الطلبة فيه الأبحاث والمدارسة.

- أنّ القسم في المرحلة الأولى لتكوين الطلبة يشهد ضغطًا طلابيًّا عاليًا لضرورة متابعة التخصص في مرحلة تكوين الماستر، كما سيتضح من خلال تحليل المادة العلمية المعتمدة مدى إمكانية مد جسور التعاون العلمي بين هذا المشروع والتخصصات الخادمة

(١) تخصص اللغة والدراسات القرآنية هو المسار النموذجي في مرحلة الليسانس والذي يسمح للالتحاق بالتكوين في المشروع.

للمشروع القرآني العام كتخصص الدعوة والثقافة الإسلامية، أو الإرشاد الديني، أو اللغة والدراسات الأدبية، أو التفسير وعلوم القرآن، أو التربية والدراسات الإسلامية، أو الدعوة والإعلام الإسلامي، أو التفسير والحديث، أو القرآن والدراسات الإسلامية.....وغيرها.

٣ ـ بيئة التعليم الاجتماعية والاقتصادية:

يهدف المشروع من جهة أخرى في إطار تدعيم القدرات الوطنية إلى وضع جسور تعاون في إطار التشغيل مع ثلاث وزارات بفروعها يمكن أن تكون بيئة مناسبة لتسويق المعارف القرآنية وتعليمها وهي:

١ ـ وزارة الشؤون الدينية والأوقاف من خلال: (الدعوة والإرشاد الديني، الدعوة والإعلام، الإمامة، الخطابة، التدريس القرآني، مفتشي الشؤون الدينية، الإدارة.....).

٢ ـ وزارة التربية والتعليم من خلال: (التعليم الابتدائي، التعليم المتوسط، التعليم الثانوي، التعليم الجامعي في حال استكمال المرحلة الثالثة من المشروع وهي الدكتوراه).

٣ ـ وزارة الداخلية (الإدارة، السجون، مربي ومعلمي مؤسسات إعادة التربية).

وتبعًا لهذه الوزارات اتفق فريق التكوين على تقسيم عدد الطلبة والمقدّر بثلاثين طالبًا (٣٠) على خمسة (٠٥) ميادين للتربص والتكوين في هذه المؤسسات الوزارية.

٤ ـ بيئة التعليم في الشراكة الأجنبية:

حرصًا على تصدير المعرفة الإسلامية عمومًا والقرآنية خصوصًا للجامعات الأوربية المهتمة، عمل فريق التكوين على تحضير بيئة علمية خارجية في إطار الشراكة الأجنبية الدولية من خلال التعامل مع كلية العلوم الإسلامية ببروكسل[١] لأجل التكفل العلمي، وفي إطار اتفاقية علمية رسمية بين الجانبين، بدأت بتنظيم دورة علمية في تعليم الدراسات القرآنية لمُسلمي أوربا[٢]، وهي خطوة قد تمنح الدراسات القرآنية بالجزائر الاندماج والانفتاح على البيئة العلمية الدولية للدراسات الشرعية والإسلامية والقرآنية، وتثمّنت بزيارة هيئاتها العلمية خلال هذه السنة في ذات الإطار.

للإشارة فإنّ من جهود الجامعات الجزائرية من خلال وزارة التعليم العالي في تنمية المعارف تتخذ صورة التربصات[٣] القصيرة المدى التي يستفيد منها الأساتذة كل سنة، أو طويلة المدى التي تتحدّد مدّتها

---

(١) الكلية تابعة لجامعة أوربا الإسلامية بروتردام أما الكلية فمقرها ببروكسل ويديرها الدكتور مصطفى دونماز، وهي في طور التطوير لإنشاء جامعة مستقلة تمّ تحديد مقرّها ببروكسل، وتشهد هذه الكلية تعاونًا علميًّا بارزًا مع جامعة وهران، كلية الحضارة الإسلامية.

(٢) ـ الدورة تمّ تنظيمها سنة ٢٠١٢م، شارك فيها العديد من الأساتذة منهم صاحب هذه المداخلة، وكانت مقدمة مناسبة في التعاون العلمي في هذا الإطار، وتبعه تبادل زيارات الأساتذة بين الطرفين.

(٣) ـ تطلب الجزائر ممثلة في جامعاتها رسالة استقبال أصلية للحصول على التربص بقيمة مالية محددة حسب القانون، على أن تتحمل هي تكاليف السفر والإقامة وتعمل الجامعة المُستقبلة على إتاحة فرصة الالتقاء بهيئات التدريس والاطلاع على الرصيد العلمي والمعرفي.

حسب طبيعة الملف المُقدَّم، وكانت ولا تزال فُرصة لائقة لفتح جسور التعاون في البحث العلمي مع مختلف الجامعات العربية والأوربية الراعية للتربص.

٥ ـ بيئة التعليم التكوينية:

وتمَّ ذلك من خلال بيان وافي للبطاقة التنظيمية لوحدات التكوين في المشروع، وسيكون مفيدًا الإشارة إلى أنّ عدد السداسيات المقررة أربعة، ثلاثة منها دراسية والرابع يستقل بإنجاز مذكرة متخصصة، يتم اختيار موضوعها بعد سلسلة من اللقاءات بين هيئة التدريس والطلبة وفريق التكوين، ثمّ يتم المصادقة عليه في اللجنة العلمية التابعة للقسم.

وفي ما يلي إرفاق للبطاقة التعليمية لوحدات التعليم للسداسيات الثلاثة:

مواد السداسي الأول:

وحدة التعليم	الحجم الساعي الأسبوعي		المعامل
	محاضرة	أعمال موجهة	
وحدات التعليم الأساسية			
و ت أ ١			
مقاصد القرآن	١,٣٠		٠٥
تاريخ القرآن الكريم	١,٣٠		٠٥
و ت أ ٢			
شبهات الاستشراق حول القرآن الكريم	١,٣٠		٠٥
وحدات التعليم المنهجية			
مصنفات الدراسات القرآنية	١,٣٠	١,٣٠	٠٤

دراسات في التراث الإسلامي	١,٣٠	١,٣٠	٠٤
وحدات التعليم الاسكتشافية			
مؤتمرات الدراسات القرآنية	١,٣٠		٠٣
البلاغة القرآنية	١,٣٠		٠٣
وحدة التعليم الأفقية			
إنجليزية		١,٣٠	٠١
مجموع السداسي ١	١٠,٣٠	٠٤,٣٠	٣٠

مواد السداسي الثاني :

وحدة التعليم	الحجم الساعي الأسبوعي		المعامل
	محاضرة	أعمال موجهة	
وحدات التعليم الأساسية			
و ت أ ١			
مقاصد القرآن	١,٣٠		٠٥
تاريخ القرآن الكريم	١,٣٠		٠٥
و ت أ ٢			
قضايا قرآنية معاصرة	١,٣٠		٠٥
وحدات التعليم المنهجية			
مناهج البحث في الدراسات القرآنية	١,٣٠	١,٣٠	٠٤
منهج تحقيق المخطوطات	١,٣٠	١,٣٠	٠٤
وحدات التعليم الإسكتشافية			
الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير	١,٣٠		٠٣
البلاغة القرآنية	١,٣٠		٠٣

وحدة التعليم الأفقية			
إنجليزية	١,٣٠		٠١
مجموع السداسي ٢	١٠,٣٠	٠٤,٣٠	٣٠

مواد السداسي الثالث:

وحدة التعليم	الحجم الساعي الأسبوعي		المعامل
	محاضرة	أعمال موجهة	
وحدات التعليم الأساسية			
و ت أ ١			
جماليات المفردة القرآنية	١,٣٠		٠٥
قواعد الاستنباط في القرآن	١,٣٠		٠٥
و ت أ ٢			
الإعجاز العلمي في القرآن	١,٣٠		٠٥
وحدات التعليم المنهجية			
منهجية ترجمة معاني القرآن الكريم	١,٣٠	١,٣٠	٠٥
مناهج إعداد الرسائل الجامعية	١,٣٠	١,٣٠	٠٤
وحدات التعليم الإسكتشافية			
أساليب القرآن الكريم	١,٣٠		٠٣
تاريخ الفكر الإسلامي	١,٣٠		٠٢
وحدة التعليم الأفقية			
إنجليزية	١,٣٠		٠١
مجموع السداسي ٣	١٠,٣٠	٠٣	٣٠

قبل شرح خصائص مواد المشروع وعلاقتها بالتكوين نشير أنّ الجزائر ممثّلة في وزارة التعليم العالي ومن خلال القائمين على تسيير الجامعات الإسلامية قد سطّرت برنامجًا متوازنًا في إطار الدفع

بالدراسات الإسلامية والقرآنية خطوة عميقة، وعملت على اقتراح برنامج تطويري في البرامج بتحديد بيئة تعليمية شاملة وجامعة في مرحلة الليسانس عمومًا شملت النقاط التالية:

١ ـ لا يتجاوز عمر التخصص ثلاث سنوات قابلة للتجديد إذا شَهِد التخصص إقبالًا يساعد على التكفل به.

٢ ـ لا يُفتح التخصص المقترح من طرف فريق التكوين في توجيه طلبة السنة أولى إذا لم يتجاوز عدد الطلبة الراغبين فيه ١٥ طالبًا.

٣ ـ تسعى الوزارة خلال السنة الجارية في إطار نظام ل م د إلى تكوين بيئة تعليمية موحّدة بين الجامعات الإسلامية الستة المنتشرة في ربوع الجزائر[١] ابتداءً من السنة أولى مرحلة الجذع المُشترك، ثم السنة الثانية مرحلة الدراسة في الشعبة، ثم السنة الثالثة مرحلة الدراسة في التخصص.

٤ ـ يمنح هذا الإجراء حرية التحويل بين الجامعات بحيث لا يقع الطلبة في حرج اختلاف بين المواد والمقررات.

٥ ـ إذا تمّ فتح تخصص معين على مستوى إحدى الجامعات أو الكليات فيكون لزامًا على غيرها في حال اشتراك الرغبة وتوفر الشروط الالتزام بنفس نسخة المشروع.

وعليه فإنّ تخصص الدراسات القرآنية في حال وافقت اللجان

(١) الجامعات والكليات الإسلامية في الجزائر هي: وهران الجزائر، باتنة، أدرار، قسنطينة، تلمسان.

المحلية والجهوية ثم الوطنية على المقترحات المقدّمة في توحيد مواد الشعب ثم مواد التخصص فنعتقد أنّها خطوة صحيحة في صلب التطوير الذي يستجيب لواقع التعليم العالي، ومقتضيات الإصلاح والجودة.

سلبيات هذا المقترح:

ومع ذلك فإنّ المقترح على قوّته وصلابته إلا أنّه يقف على سلبية ظاهرة سريعة العلاج، إذ ساوى بين الوضعية العلمية القائمة بين الهياكل الكبرى التي استقلت كجامعات وهياكل الكليات التابعة للجامعة، فجامعة قسنطينة مثلًا هي جامعة مستقلة بذاتها في العلوم الإسلامية على خلاف جامعة وهران أو جامعة باتنة اللتين لا تزالان كليات تابعة لهياكل الجامعة، وبالتالي فحجم وطبيعة الهياكل التدريسية والإدارية والبيداغوجية مختلف، وتبعًا لذلك تختلف مُسميات المواد وعدد التخصصات، فيكون من الصعب التوفيق بينها، ونكون أمام حلّين، إما خضوع هذه الجامعات إلى التخصصات الموجودة في الكليات وهذا غير منطقي، وإما ترقية هذه الكليات إلى جامعات وهو أقرب الحلول تبعًا للتطوير المنشود حتى يتسنى لها مسايرة واقع هذه الجامعات بتخصصاتها.

خامسًا

خصائص المشروع ومحاوره التطويرية

يلاحظ من خلال هذه المقررات مدى حرص هيئة التدريس على وضع مواد تلامس مرحلة متقدمة في التخصص، وللإشارة فإنّ هذه المواد قد تمّ اقتراحها بعد سلسلة من الاجتماعات وَضعت في الحسبان تجارب الجامعات العربية والإسلامية في مجال الدراسات القرآنية، حيث أبدت الهيئة استعدادها للتفاعل مع المقررات إيمانًا منها: «أن تطور المناهج وترجمتها إلى واقع النشاط التربوي وتطوير الطرائق وأساليب التعليمية والتقويم إنما يعتمد على القائمين على العملية التعليمية»[(١)].

وعطفًا على ملحق الجداول فإنّ المجموع العام للمواد تسعة عشرة (١٩) مادة في كامل السداسيات الثلاثة ترتبط وثيقًا بالقرآن الكريم بوجه أو بآخر، ولها حجم ساعي معتدل في التحصيل، كما يلاحظ أنّ المعاملات جاءت بطريقة تنازلية ومتساوية في جميع السداسيات تبدأ

(١) الاتجاهات المعاصرة في إعداد المعلم وتنميته مهنيًّا، بدرية المفرج وآخرون، وزارة التربية بالكويت، إدارة البحوث والتطوير التربوي، ٢٠٠٦ ـ ٢٠٠٧م ص ١٣.

جميعها من المعامل (٠٥) في الوحدات الأساسية، إلى غاية المعامل (٠١) في الوحدات الأفقية، تماشيًا مع نظام ل م د الذي يجعل الحجم الساعي تنازليًّا كذلك في مرحلة الليسانس بحيث يبدأ بالتكثيف في السنة الأولى[١]، ثم التوسط في السنة الثانية ثم التعميق والتقليل في التخصص خلال السنة الثالثة، ثم مرحلة الماستر ـ كما تبدو من خلال الجداول المرفقة ـ التي تُحاول التركيز على خطوة أكثر عمقًا في التلقين والمهنية. فقد حاول المشروع قدر المستطاع الاستجابة لدعوات الدراسات والأبحاث العلمية في مسائل المهنية والتي تؤكد أنّ التطوير المهني في العملية التعليمية يشمل ست (٠٦) مجالات مستقبلية[٢] وتطبيقها على المشروع كان على النحو التالي:

المحور الأول: التطوير التدريسي: يولي المشروع عناية كبيرة للحوار والمناقشة والمراقبة المستمرة والمرافقة المكتبية للطلبة. وسيكون هذا على مستوى الوحدات التعليمية الأساسية وتشمل سبع مواد (٠٧) وهي:

١ ـ مادة مقاصد القرآن: «تلتزم المادة ببناء النظرة الكلية للإنسان باعتباره إنسانًا»، وبيان مقصده في الوجود من خلال مجموع قضايا قرآنية كالخلق، أو البعث، أو الوحي، أو الرسالة، أو

---

(١) الحجم الساعي في السنوات الثلاثة الأولى مكثف جدًّا بحيث تُقدّم بطاقة عرض التكوين إمكانية إدراج وحدتين أو أكثر في كل وحدة مادتين أو أكثر حسب الحاجة سواء كانت الوحدة أساسية أو منهجية أو استكشافية أو أفقية.

(٢) بدرية المفرج وآخرون، المرجع السابق، ص ٨٠.

من خلال قضية اجتماعية كالعنف والإضرار، وتحديد وجهة النظر القرآنية في أهم «شبكات العلاقات الإنسانية»[(١)].

٢ ـ مادة تاريخ القرآن: دراسة الكتب المتعلقة بالمصاحف وأجزاء القرآن الكريم، وتثمينها بمتابعة الروايات المُثبتة للقضايا التاريخية المتعلقة بالقرآن الكريم.

٣ ـ مادة شبهات الاستشراق حول القرآن الكريم: وضع الطالب أمام الصورة الحقيقية لدراسات المستشرقين بما يضمن ردودًا موضوعية وعلمية منهجية، مع تمكين الطلبة من التمييز بين الكتابات المنصفة وغير المنصفة، والأبحاث التي تعدّت وَهْمًا وتخيُّلًا من «الكتابة في اتجاهات التفسير إلى التصدي لتفسير القرآن ذاته»[(٢)]، أو التي أرادت أن تنتقل من «تعديل منهج التفسير القديم[(٣)] تعديلًا يناسب في حكمة وروية مقتضيات الفكر الحديث إلى فرض ثورة تطورية تنسف مناهجه أصلًا»[(٤)].

٤ ـ مادة قضايا قرآنية معاصرة، العمل على معالجة بعض القضايا الإسلامية التي شكلت محورًا مهمًّا في العصر الحديث بالاعتماد على آيات القرآن الكريم كقضية الحوار الإسلامي مع

---

(١) مراجعات في تطور المنهج المقاصدي عند المعاصرين، زينب العلواني، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ص ٣٧.

(٢) عبد الرزاق بن اسماعيل هرماس، المقال السابق، ص ١٣٤.

(٣) مناهج التفسير القديم يجب أن تكون الأرضية الخصبة لأي نظر جديد في المناهج، ويُحتفظ لأصحابها بحق السبق.

(٤) الظاهرة القرآنية، مالك بن نبي، تحقيق، ندوة مالك بن نبي، دار الفكر، دمشق، سورية، ط٤، ١٤٢٠هـ، ٢٠٠٠م، ص ٥٧.

المجتمعات الغربية، وقضية حوار الحضارات، ودعوة غير المسلمين، ومستقبل الإسلام في البلدان الغربية، وغيرها من القضايا التي تمكن الطالب في مرحلة الماستر من تكوين مرجعية متقدمة من الأفكار السليمة في مناقشة ومعالجة هذه القضايا، وتضمن منه نظرة موضوعية تعكس اعتدال الخطاب القرآني ودقّته.

٥ ـ مادة جماليات المفردة القرآنية: توجيه الطالب نحو تكوين صورة نمطية عن الظاهرة الجمالية في القرآن الكريم، ومحاولة التعمق في دلالات الجمال في الألفاظ القرآنية، والأبعاد التي ترمي إليها في النفوس، ومدى علاقاتها بالنظم والسياق، ومقاصد اختيار اللفظ القرآني. ودوره في بناء الآية القرآنية، وبيان مناهج الاهتمام بالمفردة القرآنية.

٦ ـ مادة قواعد الاستنباط في القرآن الكريم: هدفه استجلاء أحكام القرآن، يتمكن الطالب إزاءه من معرفة أقسامه وأنواعه، وكيفية الاستنباط من النص الظاهر مباشرة، والاستنباط من النص الذي يحتاج إلى تفسير. وتحديد القواعد التي يقوم عليها علم الاستنباط، ومدى فاعليته في الخطاب القرآني.

٧ ـ مادة الإعجاز العلمي في القرآن، التركيز على تزويد الطالب بهذا النمط من الإعجاز، من النشأة ثم التطور والاستقرار، حتى مرحلة القواعد والأسس، مع التعرف على أعلامه ومناهجهم في معالجة قضاياه، والمنهج العلمي الواجب اتباعه في ذلك واستصحاب ما تمّ دراسته في قواعد الإعجاز والتفسير البياني في سنوات التخصص السابقة.

المحور الثاني: التطوير المنهجي: تولي هيئة التدريس اهتمامًا بالغًا في الاطلاع على قضايا الجودة من خلال المنشورات الوزارية والمؤتمرات العلمية المتخصصة في هذا المجال، كما تُركز على قضايا المنهجيات العلمية في الإلقاء والتلقين، وتمّ ذلك على مستوى ست (٠٦) مواد:

١ ـ مادة مصنفات الدراسات القرآنية: يلتزم الطلبة إزاء هذه المادة بدراسة مصنفات الدراسات القرآنية وتحليل طبيعة المواضيع التي تناولتها، وتمييزها على حسب الباب الذي تنتمي إليه وإجراء مقارنات بينها في الباب الواحد، وتحديد الفوارق بين المصنفات القديمة والحديثة، مع التعريف بأعلامها وأصحابها.

٢ ـ مادة دراسات في التراث الإسلامي: تنحصر مجمل المؤهلات المزمع اكتسابها في معرفة حجم التراث الإسلامي في باب الدراسات القرآنية ومدى فاعليته في تطوير الفكرين العربي والغربي على حد سواء. كما تُحدّد تلك المنهجيات الدقيقة المغموزة[١] في التعامل مع التراث الإسلامي التي أوصلت جهود «الدراسات المنصفة إلى نتيجة مفادها أن تفكير العرب العلمي يعتبر أساسًا للمنهج العلمي الحديث»[٢].

٣ ـ مادة مناهج البحث في الدراسات القرآنية: تعتمد المادة على

---

(١) يعمد الغربيون إلى النيل من هذه المنهجيات واتهماها بالغيبي وعدم العلمية.

(٢) البحث العلمي أساسياته النظرية وممارسته العملية، رجاء وحيد دويدري، دار الفكر المعاصر ـ بيروت ـ لبنان ـ دار الفكر ـ دمشق ـ سورية، ط١، ١٤٢١ هـ ٢٠٠٠م، ص١٣٧.

عرض الدراسات الحديثة والجديدة في الدراسات القرآنية التي طبقت المناهج الحديثة، كما تجتهد في المقارنة بين منهجين اثنين في القضية القرآنية الواحدة من خلال الأبحاث والدراسات.

٤ ـ مادة مناهج تحقيق المخطوطات: تمكين الطالب من معرفة أبجديات التحقيق، والتعرف على أغلب مخطوطات علوم القرآن والبطاقات الفهرسية، ووسائل الترميم والصيانة. والخزائن المتوفرة في هذا الباب مع فهارس الكتب، وسيكون العمل ميدانيًّا من خلال الأجهزة المتوفرة بمخبر مخطوطات الحضارة الإسلامية في شمال إفريقيا، وهو المخبر الذي تمّ توطين المشروع فيه.

٥ ـ مادة منهجية ترجمة معاني القرآن الكريم: من أصعب المواد التي يتلقاها الباحث القرآني، والدعوة فيها قائمة «لتتقاسم أعباءه لجنة علمية تضم أساتذة في الترجمة والتفسير والقراءات واللغة والحديث والأصول والبلاغة واللسانيات»[(١)]، ويعمد المشروع بموجب ذلك إلى تحديد ودراسة الكتب التفسيرية التي تناولت موضوع المعاني كالزجاج وغيره، وإمكانية دراسة تاريخ ترجمات القرآن الكريم، وتحديد المنهجية العلمية السليمة في ذلك. وأكثر اللغات التي تُرجمت إليها المعاني القرآنية، مع

(١) الدراسات القرآنية بالمغرب في القرن الرابع عشر الهجري، إبراهيم الوافي، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط١، ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م، ص ١٧٤.

التركيز على تميُّز النظم القرآني من جهة ترجمة المعنى من العربية إلى لغة أخرى أنه مستساغ، لكن إعادة الترجمة إلى اللغة العربية لا يُقدم نفس النص العربي الأول قبل الترجمة لخصوصية القرآن الكريم.

٦ ـ مادة مناهج إعداد الرسائل الجامعية: يتم تدريس المادة من جهتين اثنتين: أولهما المنهج العام في تحرير الرسائل الجامعية وبيان المساحات المتفق عليها والمختلف فيها، وثانيهما بيان كيفية الإفادة من المناقشات العلمية للرسائل.

المحور الثالث: التطوير البحثي: جاءت الموافقة الوزارية على المشروع بعد اطلاعها على الرصيد البحثي لهيئة التدريس في مختلف الرتب العلمية، سواء المشاركة في المؤتمرات الدولية، أو الملتقيات الوطنية أو نشر المقالات المتخصصة في المجلات العلمية المحكمة بما يتماشى مع التخصص، أو الأمالي الخاصة التي تتناول خصائص القرآن وأساليبه، لذا حرص المشروع على تحديد خمس (٠٥) مواد تتماشى مع طبيعة أبحاث هيئة التدريس، ونمثّل لواحدة منها فقط تجنبًا للإطالة:

١ ـ مادة مؤتمرات الدراسات القرآنية: التركيز على استجماع مختلف المؤتمرات والندوات والمجلات العلمية التي نشرت وقائع هذه المؤتمرات ثم دراستها وبيان جديتها وجديدها، ومواقف تشابهها واختلافها، والمادة كفيلة بدفع جانب معتبر من التصور العام لعنوان التخصص المقترح، وضامنة لاطلاع واسع على حجم الاهتمام بالدراسات القرآنية في العوالم العربية والإسلامية والغربية.

أما باقي المواد فهي: مادة البلاغة القرآنية، ومادة الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير، ومادة أساليب القرآن الكريم، ومادة تاريخ الفكر الإسلامي، وتتفق جميعها في المنحى والهدف.

تحسن الإشارة أنّ مادة الإنجليزية في وحدة التعليم الأفقية هي المادة المُشتركة علميًّا ومنهجيًّا بين مختلف المواد، حيث يقومُ الأستاذ المسؤول على تعليمها بالتنسيق مع أساتذة المواد في كل وحدة تعليمية والاطلاع على أهم محاورهم باللغة العربية ثم تلقينها للطلبة باللغة الإنجليزية، للحصول على تكوين مزدوج في مختلف المواد.

المحور الرابع: التطوير التقني: حافظ المشروع على الناحية التقنية من ناحيتين: أولها الالتزام الكامل بتحديد أستاذين مسؤولين: أحدهما عن الوحدة التعليمية كاملة بما تحمله من مواد، والثاني عن تعليم المادة التابعة للوحدة كما هو واضح في الجداول، ويتم التنسيق بين مسؤولي الوحدات التعليمية وبين أساتذة المواد التابعة لها.

والناحية الثانية تنحصر في مادة الإعلام الآلي الغير مُدرجة في المشروع نظرًا لوجودها ابتداءً من السنة الأولى إلى الثالثة، إلا أنّ المشروع يعتمد على تحميل جلسات المؤتمرات القرآنية من الشبكة العنكبوتية ثم مناقشتها خلال الحصة، وتكليف الطلبة بإنجاز أبحاث وتقارير في ذات الموضوع.

المحور الخامس: التطوير الإداري: تؤكد إدارتا الجامعة والكلية على حد سواء على دعم تطوير المناهج وتبسيط المادة العلمية، وتحرص على تكريم أصحاب البحوث التي ينجزها بعض أعضاء هيئة

التدريس والتي تُجيزها الهيئة المختصة في التقييم سواء ما تعلَّق منها بالبرامج أو التخصص. وتلتزم بحصرية الهياكل الإدارية للمشاريع المتقدمة في التدرج كمرحلة الماستر. (القاعات، الأجنحة المكتبية، قاعات الإعلام الآلي، متابعة التكوين في مخابر البحث...) إلخ.

المحور السادس: التطوير التقويمي: يركّزُ المشروع على التقويم المستمر خلال السداسيات، ويكون على طريقتين: إما بإعلام مُسبق أو بصورة مفاجئة خلال الحصة، بهدف تفعيل آلية التقويم وتقعيد مبادئه.

المحور السابع: التطوير الإعلامي: تسعى إدارة الكلية إلى فتح مواقع حصرية تكون فضاءً بين هيئات التدريس والطلبة، ومساحة للاستفسارات والأسئلة، تجنبًا لبقاء الانشغالات رهنًا بوجود الأستاذ بمقر العمل أو المكتب.

سادسًا

علاقة التطوير بالتخطيط الشامل للدولة ومعايير صدق وصلابة المحتويات

بناءً على التصور السابق يكون المشروع قد حاول الإلمام قدر المستطاع، مع بقاء مساحة الإضافة والتعديلات قائمة، ويمكن من خلال هذا المؤتمر الإفادة من التجارب العالمية في مجال تطوير المناهج والمقررات وتطبيقها في تطوير وإصلاح هذا المشروع، ونقل ما يُقدّمه المؤتمر للجهات الوصية بالجزائر للإفادة والاستعانة، خاصة وأنّ الدعوة لإصلاح التعليم كانت حافزًا واضحًا في إعادة النظر في المنظومة التربوية والتعليمية في الجزائر، وكانت خطوة أولى لتقييم نمط العملية التعليمة الذي استمر طويلًا، وحين يستقرُّ مفهوم الإصلاح في الأبحاث التربوية على جمع «الخبرات التربوية والاجتماعية والثقافية والرياضية والفنية والعلمية التي تخططها المؤسسة التربوية»[(١)]، ويضمن في مدلوله «التغيير الكلي للمؤسسة التعليمية ويحدّدُ لها أهدافًا جديدة

(١) المناهج التربوية الحديثة، مفاهيمها وعناصرها وأسسها وعملياتها، توفيق أحمد مرعي ومحمود محمد الحيلة، دار المسيرة، عمان، ط١، ٢٠٠٠، ص ٢٥.

مع المحافظة على بنيتها التحتية وتركيبتها البشرية»[١]، فنعتقدُ أنّه يشترك مع مدلول التطوير الذي يستهدف المناهج والمقررات، فكلاهما إذا يدخل ضمن التخطيط الشامل للدولة، ويكفلان تحقيق التنمية في جميع المجالات، فلا يجب بأي حال الفصل بين أهداف الدولة وبين تطوير وإصلاح التعليم، حيث تؤكد الدراسات التربوية أنّ «التخطيط التعليمي أو التربوي هو العملية المتصلة التي يتم عن طريقها تنمية الموارد البشرية بما يُمَكِّن كل فرد من تنمية قدراته إلى أقصى درجة ممكنة، ومن الإسهام بكل فعالية في تقديم النواحي الاقتصادية والثقافية والاجتماعية، وفق أهداف محددة، وفي إطار السياسة العامة للدولة»[٢]، ويضمن إلى حدّ مقبول تكافؤًا في فرص العمل والتشغيل.

سيكون من المبالغة ادعاء التفوق والتميز في تحديد الوحدات التعليمية لهذا المشروع، لكن الحرص كان شديدًا على تقديم التجربة كأرضية مختلفة في الدراسات القرآنية، تبدأ وتجمع بين تعيين الوحدات التعليمية ثم تحديد المقررات والبرامج ثم مناهج تعليمها وتقديمها للمتعلمين، وكان النظر الأوفى في محتويات المواد رعايتها للمعايير التالية:

١ ـ صدق المحتوى: بمعنى الصحة والدقة والارتباط بالأهداف ومواكبة الاكتشافات العلمية المعاصرة، والأهمية المعرفية للمجتمع والمتعلمين.

---

(١) ـ الوثيقة الرسمية لوزارة التعليم العالي والبحث العلمي، La refonte de l'enseignement supérieur المطبعة الرسمية شارع بارك، الجزائر، ١٩٧١م.

(٢) مبادئ التخطيط التربوي، تركي رابح، ديوان المطبوعات الجامعية، ١٩٨٢. ص ١٨.

٢ ـ ارتباطه بالواقع الاجتماعي والثقافي والفكري.

٣ ـ توازنه بين العمق والشمول، وبين النظري والعملي التطبيقي، وبين الأكاديمي والمهني، وبين احتياجات الفرد والمجتمع.

٤ ـ مراعاته لمعارف المتعلم السابقة.

٥ ـ مراعاته للاحتياجات المستقبلية للمتعلم.

هذه الخماسية المترابطة جاءت تماشيًا مع معايير الصلابة[١] المطلوبة في تحديد المناهج والمحتويات، وتطبيقها على وحدات المشروع على النحو التالي:

أولًا: معيار الاستمرار: ويقصد به العلاقة الرأسية بين الموضوعات، فجميع المواد تشترك في القرآن الكريم أساسًا في الدراسة، وتختلف في الاستدلال والبرهان.

ثانيًا: معيار التكامل: ويكون بالربط بين المواد، فالحديث عن مادة تاريخ القرآن مثلًا يرتبط بشكل أو بآخر بمادة مقاصد القرآن، ومادة شبهات المستشرقين ترتبط وثيقًا بمادة القضايا القرآنية....إلخ.

ثالثًا: معيار التوحيد: ويقصد به وضع المواد المتخصصة في وحدات معًا، ويتضح من خلال المشروع الجمع بين المواد المتقاربة في وحدة تعليم واحدة، سواء كانت الوحدة أساسية أو استكشافية أو منهجية أو أفقية.

اعتبارًا لهذه المعايير فليس بعيدًا أن تُعير قضية النهوض الحضاري

---

(١) توفيق أحمد مرعي، المرجع السابق، ص ٨٣.

لتطوير الدراسات القرآنية حسابًا ذا قيمة، فالقضية شمولية عامة، والمسألة لا تحقق خطوات مباركة إلا بتضافر جهود شتى، فهو مشروع كلي جماعي ولكل مكلفٍ مسؤولية ملقاة على عاتقه، تشكل حجر عثرة في طريق تعميق التعليم إذا نقص منها شيء، وليست هذه دعوى إلى المثالية التعليمية، بقدر ما هو سعي لتحقيق تكوين قرآني متكامل يضمن باحثًا تنمويًّا وفكريًّا وثقافيًّا متأصلًا، يضمن الكفاية الاجتماعية من حيث توفير الإطارات المثقفة، والكفاية الاقتصادية من حيث تكوين اليد العاملة[١] الماهرة، والعدالة الاجتماعية من حيث عمومية التعليم[٢] والثقافة، وبالتالي ضمان مستوى تعليمي عالي وعصري يتماشى مع التطورات الحديثة، فقد ظهر من خلال الواقع تلك الاستجابة في التكوين، تحت غطاء التطوير الذي شغل حيزًا كبيرًا في مختلف المجالات، واتخذ أنماطًا عديدة ومختلفة تسعى جميعها لتحقيق أكبر قدر ممكن منه، وبات أكيدًا جمود الفكر الإنساني من دونه، وإلا فإنه أحد رموز الحضارة الإنسانية في العصر الحديث، ولأجله تأسست مدارس بأكملها واتخذت كل واحدة منها منهجًا مستقلًّا، به تُجسِدُ مفهومه وتطبّق وقائعه، وتثمِنُ نتائجه، وفق قواعد وأساسيات يُحسب أنها تجني ثمارًا في هذا الصدد ولا مُعتبر إلا بدليل.

(١) يؤول المعنى في هذه العبارة إلى الأستاذ المتخصص في الميدان.
(٢) التعليم والإتقان حق وواجب على للجميع.

سابعًا

الهيئات التدريسية أساس في العملية التطويرية

«إنّ انتشار الأبحاث والدراسات القرآنية بجامعاتها وكلياتها ومعاهدها بالجزائر كان تعويضًا عن قلة الاهتمام والإساءة إلى الثقافة الإسلامية التي اعترتها خلال العهد الاستعماري»[(١)]، ومع ذلك فإنّ هذا الانتشار بقي مرهونًا لفترة زمنية معتبرة بالكمّ دون الكيف، وحين تقف أمام طالبين من جيلين مختلفين فلن تجد فرقًا في المعلومات[(٢)] بينهما حتى في دقائق الأمور التي يقدمها الأستاذ، مما يدلُّ على قدم المعرفة ورهافتها، وعدم مسايرة الأستاذ للانفجار المعرفي السائد، وربما تقف على بعضهم لا يُحسنُ التعامل حتى مع أجهزة الرقن والكتابة، لذا فإنّ التطوير يُلبي حاجة سريعة من خلال التوفيق بين العلوم أو المواد العلمية وبين وسائل ومناهج التعليم، أي: وجوب شموله الجانبين معًا، إذ نلاحظ على مستوى التجربة الجزائرية تكثيف

---

(١) منظومات في مسائل قرآنية، محمد الطاهر بن بلقاسم التليلي، تقديم أبو القاسم سعد الله، المؤسسة الوطنية للكتاب، ١٩٨٦، ص ١١.

(٢) المقصود هنا المعلومات العادية التي تُقدّم في المحاضرات وليس الثوابت والمعلومات من الدين بالضرورة.

الجهود على مستوى المادة الدراسية أو العلمية من حيث تطوير المقررات الدراسية وتغييرها وإحداث تعديلات مختلفة، في حين يُهمَلُ الجانب التعليمي المتعلق بكل ما له اتصال بالمحيط التعليمي، كالأستاذ، والطالب، والإدارة، والمكتبة، والتقييم، والإبداع، وغيرها، وإذا وقفنا على المفهوم التقليدي للمنهاج التربوي الذي يُعرّفُ بـ«مجموع المعلومات والحقائق والمفاهيم والأفكار التي يدرسها الطلبة في صورة مواد دراسية، اصطلح على تسميتها بالمقررات الدراسية»[(١)]، ينتابنا الإحساس بجفاف هذا المفهوم وعدم فاعليته وحركيته، ولا نكاد نأمل في العملية التنموية والتطويرية المنشودة، في ظل غياب رؤية متكاملة عن طبيعة مسايرة القائمين على العملية التعليمية مع الجديد من المناهج، وفي ظل امتناع بعضهم عن تجديد المعرفة وقلّة الاطلاع، ستغفل هيئة التدريس عن واجب الاهتمام بتطوير جوانب الكفاءة الضرورية وهي: «الكفاءة المعرفية في التخصص والإعلاميات والتربية، أو الكفاءة الشخصية في التعلم والاتصال وإدارة الوقت، والكفاءة السلوكية في الاستماع واحترام الرأي المخالف والمناقشة وتقبل أفكار الطلبة»[(٢)].

فالباحث القرآني زيادة على اهتمامه بمفاتيح التفسير من ضوابط وآداب ومباحث ومصادر للتعامل مع نصوص القرآن، سيكون مُلزمًا بامتلاك القضايا الكبرى كالإسرائيليات والموضوعات والأسانيد

(١) توفيق أحمد مرعي، المرجع السابق، ص ١٩.
(٢) كفاءة أعضاء هيئة التدريس وأثرها على جودة التعليم العالي، نوال نمور، رسالة ماجستير، جامعة منتوري، قسنطينة، ٢٠١١/٢٠١٢، ص ٦٦ وما بعدها.

والثوابت والخلافيات، وعاملًا على تفسير القرآن بالقرآن، وعليه أن يجمع بين مجموعة نقاط أساسية هي: إدامة النظر مع كتاب الله بالعزلة، والإلمام بالكتابات القديمة حول التفسير، والاطلاع الواسع على الجديد من الدراسات القرآنية، وامتلاك الحس الواعي بالحقيقة الثابتة سندًا، والناقد بموضوعية لغير الثابت منها.

من جانب آخر تستهدف خدمة وتطوير الدراسات القرآنية النص والمصطلح معًا[(١)]، وهي المهمة التي يُحققها المدرّسون للحصول على أرضية مناسبة تحتضن عمليات التطوير والمنهجة، «فذهول المفسرين أحيانًا عن تحقيق دلالات المصطلحات يعود لانشغالهم بتفسير الآيات في إطارها التعبدي دون الرجوع إلى تتبع نصوص المصطلح كلها ودراستها واستخلاص الدلالة من مجموعها وربما وظف لها المعنى الذي صار في عرف علوم مجاورة كأصول الفقه أو المقاصد...»[(٢)]، ومهما يكن فدراسة التآليف الجديدة في مجال الدراسات القرآنية باتت مطلوبة لجهد جماعي كذلك لغرض التقويم والإضافة، وقد قال المقري قديما: «إنّ دواعي التأليف سبعة: شرح أو تصحيح أو إبداع أو ترتيب منثور أو جمع مفرق أو اختصار أو تتميم»[(٣)] ولن تكون صناعة المفسر لأجل تأليفٍ في التفسير جديد، بل لنظرٍ متميزٍ في القضايا القرآنية

(١) كان هذا عنوان مؤتمر دولي انعقد بالمغرب.

(٢) آفاق تطوير الدرس المصطلحي للقرآن الكريم مفهومًا ومنهجًا فريدة زمرد، منشور ضمن أعمال مؤتمر خدمة النص والمصطلح في القرآن الكريم، ص ٢٩٣.

(٣) أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض، المقري أبو العباس، تحقيق، مصطفى السقا وآخرون، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٣٥٨هـ، ١٩٣٩م، ج٣٣٣، ص ٣٥.

وعرضها بمنهج متطور يُعينُ في تبليغ الرسالة المحمدية للشعوب الإنسانية، ومجرّدُ «انتقال الدرس التفسيري من الدروس المسجدية في مراحله الأولى إلى النسق التنظيمي الذي عرفه التعليم وأصبح مادة تُدرّس في الجامعات والمعاهد والكليات لهو تطور إيجابي للدرس التفسيري»[(١)]، فلن يكون تعميق مناهجه وتكاثف جهوده أمرًا مستحيلًا، ولن يُثني الباحث القرآني آنذاك شيئًا في أن «يفرّق بين أساليب فهم القرآن التي تخضع للمكلة الأدبية واللغوية، وبين طرائق التفسير التي تخضع لما يغلب على المفسر من اختصاص في العلوم المختلفة»[(٢)]، والتي تولّد منها التفسير الفقهي أو اللغوي أو الإعرابي أو البياني أو التحليلي أو الموضوعي أو الإشاري...إلخ.

لن نصل إلى تحقيق الكثير من الغايات في قضايا التطوير في ظل اجتهاد المؤسسة التعليمية في تقديم الأفضل والأحسن والأصلح من المناهج وتخصيبها للبيئات التعليمية دون اشتراك فاعل وصادق بين القائمين على التعليم والمتعلّمين، وإذا كانت الدول المتقدمة قد «قطعت شوطًا كبيرًا في طريق التقدم والتطور، ونظرت إلى التعليم على أنه أداة من أدوات التجديد، أو أعادت النظر فيه على نحو يمكنه من أن يكون كذلك»[(٣)]، فلأنها تهتم بالشراكة الجماعية في العملية التطويرية والتنموية، وعليه فإنّ هيئات التدريس وانصهارهم في: «تلك الشخصية

---

(١) إبراهيم الوافي، المرجع السابق، ص ٣٠٥.
(٢) آثار الشيخ محمد البشير الإبراهيمي، محمد البشير الإبراهيمي، جمع وتقديم، أحمد طالب الإبراهيمي، دار الغرب الإسلامي، ط١، ١٩٩٧م، ج٢، ص ٢٥٠.
(٣) تركي رابح، المرجع السابق، ص ٦٣.

القادرة على ترجمة الطاقة العقلية إلى طاقة نفسية تتفق ودورها مع المجتمع، وهي الشخصية الكامنة وراء التطور الاجتماعي والاقتصادي»[(١)]، فلن ينفصل عنهم القائمون على تدريس الدراسات القرآنية، لكنهم يضطلعون بحكم رسالتهم أكثر من غيرهم إلى تجسيد ما يلي:

١ ـ **تطوير الأدوار الأكاديمية**: وتتمثل في وظيفة معلّم الدراسات القرآنية وما تتطلبه من تكوين معرفي وعقلي ومنهجي وسلوكي، ومن خبرات ومهارات في طرائق التدريس، ومراعاة أوضاع المتعلمين الاجتماعية والنفسية.

٢ ـ **تطوير الأدوار الاجتماعية**: وتشمل مشاركته في الفعاليات الاجتماعية المختلفة، واستفادته من وسائل الاتصال الحديثة للمساهمة في خدمة قضايا المجتمع، وعمله على وضع شخصيته محل القدوة في سلوكياته ودوره الاجتماعي، وقد تأكّد أنَّ تكوين المعلم هو تكوين إسلامي محض وهو الدين الوحيد الذي هذَّب سلوكيات الإنسان من جميع جوانبها.

٣ ـ **تطوير الأدوار الحضارية**: ويكون فيها معلّم الدراسات القرآنية ناقلًا لقيم الحضارة من خلال مبادئه وتعلمه وشخصيته وسلوكياته وثقافته، وقد تتعدى مهمته الإطار التعليمي إلى الإطار الخارجي في المجتمع، ويكون فيه من جانب آخر إنسانًا رساليًّا، يعمل من أجل أداء

(١) دور التعليم في تعزيز الانتماء، لطيفة إبراهيم خضر، عالم الكتب، ط٧، ٢٠٠٠، ص١١١.

الدور الإنساني والرسالة الحضارية الكبرى، إذ يكون مفيدًا لكل من احتاج إليه.

أما المتعلّمون: فهم المحور الأول والهدف الأخير من مجمل تطوير العملية التعليمية التربوية، لذلك ترصد الدولة لصالحه مصاريف ضخمة في انتظار عائدات التكوين المتمثلة في «تكوين عقله، وجسمه، وخلقه، وروحه، ومعارفه، ومهاراته، واتجاهاته، وسلوكه»[(١)] وتحقيق الحد الأدنى من هذه المقومات ليس بالأمر السهل فضلًا عن تحقيق أغلبها أو كلها، فللمتعلم حق المشاركة في تكوين الدور الحضاري للأسرة التعليمية، «وما يلاحظ في الدول المتقدمة أن المتعلمين أصبح لهم دور أساسي في تحديد مدى فاعلية المؤسسات التعليمية وكفاءتها وقدرتها»[(٢)]، والحق أن محيطه مسؤول بالدرجة الأولى عن المراحل التي تسبق التعليم، في عملية التهيئة لاستقبال المعرفة، أو الجديد مما يجهله المتعلم، وهذا ما يعينه في المستقبل على ربط العلاقة بينه وبين المادة التعليمية وهي مرحلة مهمة في نجاح التعليم، ويحرص المهتمون على تسميته «بالسلوك المدخلي وهو يشير إلى كل ما سبق للمتعلم أن تعلمه، وقدراته العقلية، وتطوره، وبعض المحددات الاجتماعية والثقافية لقدرته على التعلم»[(٣)] ولا شك أن هذا كفيل برعاية المهارات التي تنمو من البدايات الأولى إلى أن يكون عنصرًا فاعلًا وفعالًا.

---

(١) تركي رابح، المرجع السابق، ص ١١٢.

(٢) الأدوار الحضارية للمعلم ودواعي التجديد في فلسفة التعليم، عبد العزيز برغوث، الجامعة العالمية، ماليزيا، ص١٢.

(٣) توفيق أحمد مرعي، المرجع السابق، ص ٢٢١.

ثامنًا

توجيهات المشروع وتوصيات المداخلة

يستعجل البحث في الوقت الراهن ثلاث توجيهات للقائمين على تدريس الدراسات القرآنية بالجامعات الجزائرية، وثلاث توصيات للقائمين على شؤون المؤتمر.

أما التوجيهات فتتمثل في:

١ ـ أن المشروع رهن الاقتراحات والإضافات من مختلف الجهات الساهرة على تطوير مناهج الدراسات القرآنية وتنمية معارفها من داخل الجزائر وخارجها.

٢ ـ تخلي الباحث القرآني عن الالتزام بالكتابة والمشاركات العلمية لأجل الترقيات العلمية.

٣ ـ تُفتح للطلبة فرصة اقتراح موضوع للدراسة مما كان شاغلًا لهم خلال مطالعاتهم أو بحوثهم، ذلك أنّ تغيير «المناهج لا تستجيب لمقتضيات التطور فحسب بل قد تراعي مقتضيات نفسية الطلاب أيضًا»[(١)].

---

(١) آثار ابن باديس، عبد الحميد بن باديس، تحقيق عمار طالبي، دار ومكتبة الشركة الجزائرية، ط١، ١٣٨٨هـ، ١٩٦٨م، ج١، ص ٢٢.

وأما التوصيات فهي:

١ ـ توطيد العلاقات العلمية بما يُفيدُ إنشاء كرسي في الدراسات القرآنية بالجزائر من أجل التطوير الراشد لمناهج تعليم قضايا القرآن الكريم.

٢ ـ إيجاد آلية علمية بإجماع المشاركين في هذا المؤتمر على اعتبار تطوير مناهج الدراسات القرآنية أساسًا في تطور مناهج العلوم الإنسانية.

٣ ـ في إطار التنسيق وتبادل الخبرات المعرفية والمناهج التعليمية تأتي الدعوة إلى إنشاء جامعة عربية إسلامية مُشتركة في الدراسات القرآنية، يتحدّدُ مقرُّها وتخصصاتها وآليات الالتحاق بها بموجب اتفاق، ويتصدّر للتدريس فيها المتخصصون من كل بلد عربي بناء على ما تُفرزه تزكيات كل جامعة، وقد يتخذ التدريس صورة العقد السنوي، ويتولى كل بلد دفع تكاليف الأستاذ المبتعث طيلة فترة عقده.

تاسعًا

خاتمة

نعتقد بحزم أنّ موضوع تطوير الدراسات القرآنية وتمكينها من بيئة تعليمية واقعية ومستقبلية لا يُعدُّ مدخلًا لتطوير مناهج العلوم الإنسانية فحسب، بل أساسًا في تطور مناهج الفكر الإنساني، يأتي هذا التأكيد في الوقت الذي يشهد العالم ثورة معلوماتية في مختلف مناحي العلم والمعرفة، وعطفًا على تاريخٍ حافل للحضارة الإسلامية بالتفوق والتميز والإنتاج المعرفي، فإننا نأسف كما تعجّب المتخصصون والمهتمون «أن كثيرًا من الشباب المسلمين المثقفين يتلقون اليوم عناصر ثقافةٍ تتصل بمعتقداتهم الدينية، وأحيانًا بدوافعهم الروحية نفسها، من خلال كتابات المتخصصين الأوربيين»[1] في الوقت الذي انتهت فيه الكتابات الإسلامية من التأصيل وانتقلت إلى تطوير الفكر الغربي من أبحاث الثقافة الإسلامية.

نأمل أن يُشكّلَ هذا المشروع حلقة هامة في سلسلة التطوير المنشود، ونظنُّ أنّ الجهود المضنية التي اجتمعت في تمهيد بيئته

(١) مالك بن نبي، المرجع السابق، ص ٥٤.

العلمية والمعرفية والتكوينية قد استجابت بشكل أو بآخر لدعوات التميُّز في التعليم العالي والجودة في البحث العلمي، كما نظنُّ أن عزمًا مُلفتًا للانتباه قد شذّ الأذهان ليس في خدمة الدراسات القرآنية فحسب، بل في إقامة منهج تحليلي رائد في دراسة الظاهرة القرآنية ككل، ويعمل على إتاحة فرصة التأمل الناضج في القضايا القرآنية، ينطلق من إصلاح مناسب لمنهج النظر في تفسير القرآن الكريم.

لن يستنكف القائمون على متابعة المشروع أن يقفوا رهن إشارة الزيادة والتثمين والتعديل، خدمة للهدف المُعلن في تطوير جوانب التنسيق والتكامل بين المؤسسات الخادمة للدراسات القرآنية، ونظنُّ أنّ هدفًا كهذا سيتعدى الإفادة في البرامج والمعارف إلى دفع ذهنيات هيئات التدريس بالاندماج والاطلاع على التجارب العالمية حفاظًا على هذه التخصصات من الانكسار والانحسار في ظل الانفجار المعرفي الذي تعرفه الساحة العالمية، وخدمة للمعرفة الإسلامية المبنية أساسًا على الدعوة إلى الله بالمنهج النبوي الخالص.

لقد اجتهدت المداخلة في اعتبار تطوير مناهج التعليم جزءًا من الخدمة التنموية للدولة، والتخطيط الشامل لها، وتؤكد أنّ تطوير مناحي الاجتهاد وتجديد المناهج في الدراسات القرآنية يرتبط وثيقًا بالتطورات المتسارعة لجوانب الحياة، ويقف على ما تُقدّمه من مستجدات اجتماعية واقتصادية حاسمة، وسريعًا سنعترف أنّ حجم المسؤولية في خدمة كتاب الله تعالى سيُلهمنا جميعًا تطويرًا للقيم الذاتية ومناهج السلوك خدمة للدعوة وللإنسان.

ستكون الدعوة مُلحة إلى ضرورة البحث في المنهج النبوي في تعليم

الصحابة عليهم الرضوان، وعليه تُبنى القواعد العلمية لنصل إلى تقديم المعرفة على وجهها الأحق. وبه تكون الدراسات القرآنية قد انطلقت آمنة من العهد النبوي ووصلت كذلك إلى الساهرين على تطويرها وتبليغها إلى الأجيال.

عاشرًا

مصادر البحث ومراجعه

١ ـ آفاق تطوير الدرس المصطلحي للقرآن الكريم مفهومًا ومنهجًا فريدة زمرد، منشور ضمن أعمال مؤتمر خدمة النص والمصطلح في القرآن الكريم.

٢ ـ أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض، المقري أبو العباس، تحقيق، مصطفى السقا وآخرين، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٣٥٨هـ، ١٩٣٩م.

٣ ـ آثار الشيخ محمد البشير الإبراهيمي، محمد البشير الإبراهيمي، جمع وتقديم، أحمد طالب الإبراهيمي، دار الغرب الإسلامي، ط١، ١٩٩٧م.

٤ ـ آثار ابن باديس، عبد الحميد بن باديس، تحقيق عمار طالبي، دار ومكتبة الشركة الجزائرية، ط١، ١٣٨٨هـ، ١٩٦٨م.

٥ ـ الأدوار الحضارية للمعلم ودواعي التجديد في فلسفة التعليم، عبد العزيز برغوث، الجامعة العالمية، ماليزيا.

٦ ـ البحث العلمي أساسياته النظرية وممارسته العملية، رجاء وحيد

دويدري، دار الفكر المعاصر ـ بيروت ـ لبنان ـ دار الفكر ـ دمشق ـ سورية، ط١، ١٤٢١ هـ ٢٠٠٠م.

٧ ـ التفسير والمفسرون محمد حسين الذهبي، مكتبة وهبة، القاهرة.

٨ ـ اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، فهد بن عبد الرحمان الرومي، رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، السعودية، ط١، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٦.

٩ ـ تفسير القرآن الكريم في كتابات المستشرقين، عبد الرزاق بن إسماعيل هرماس، مجلة البحوث الإسلامية، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد.

١٠ ـ تقويم تعليم حفظ القرآن الكريم وتعليمه في حلقات جمعيات تحفيظ القرآن الكريم، إبراهيم بن سليمان آل هويمل، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة.

١١ ـ الاتجاهات المعاصرة في إعداد المعلم وتنميته مهنيًّا، بدرية المفرج وآخرون، وزارة التربية بالكويت، إدارة البحوث والتطوير التربوي، ٢٠٠٦ ـ ٢٠٠٧م.

١٢ ـ الخدمة الاجتماعية المدرسية، غباري محمد سلامة محمد، المكتب الجامعي الحديث، مصر، ١٩٨٩.

١٣ ـ الدراسات القرآنية بالمغرب في القرن الرابع عشر الهجري، إبراهيم الوافي، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط١، ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م.

١٤ ـ دور التعليم في تعزيز الانتماء، لطيفة إبراهيم خضر، عالم الكتب، ط٧، ٢٠٠٠م.

١٥ ـ الظاهرة القرآنية، مالك بن نبي، تحقيق، ندوة مالك بن نبي، دار الفكر، دمشق، سورية، ط٤، ١٤٢٠هـ، ٢٠٠٠م.

١٦ ـ كفاءة أعضاء هيئة التدريس وأثرها على جودة التعليم العالي، نوال نمور، رسالة ماجستير، جامعة منتوري، قسنطينة، ٢٠١١/ ٢٠١٢م.

١٧ ـ مراجعات في تطور المنهج المقاصدي عند المعاصرين، زينب العلواني، المعهد العالمي للفكر الإسلامي.

١٨ ـ المناهج التربوية الحديثة، مفاهيمها وعناصرها وأسسها وعملياتها، توفيق أحمد مرعي ومحمود محمد الحيلة، دار المسيرة، عمان، ط١، ٢٠٠٠م.

١٩ ـ مبادئ التخطيط التربوي، تركي رابح، ديوان المطبوعات الجامعية، ١٩٨٢م.

٢٠ ـ منظومات في مسائل قرآنية، محمد الطاهر بن بلقاسم التليلي، تقديم أبو القاسم سعد الله، المؤسسة الوطنية للكتاب، ١٩٨٦م.

٢١ ـ الوثيقة الرسمية لوزارة التعليم العالي والبحث العلمي، La refonte de l'enseignement supérieur المطبعة الرسمية شارع بارك، الجزائر، ١٩٧١م.